قصائد عراقيَّة من جوف الحصار

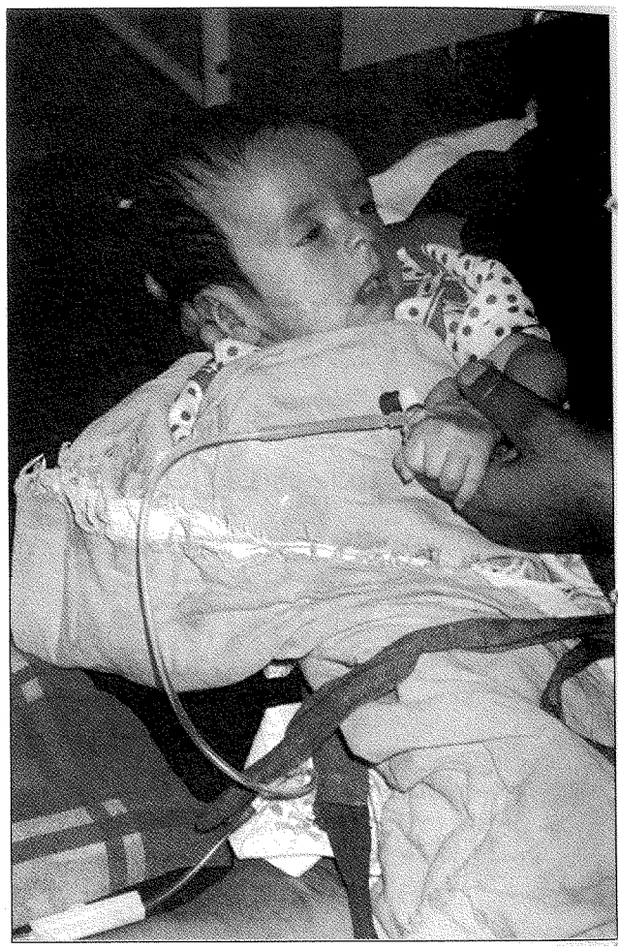

فيما يلي تقدّم الآداب أربع قصائد مفعمة بالوجع العراقيّ، لتنضمّ - ولو متأخرةً - إلى ملفّ الشهادات الذي أعدّه ماجد السامرائي ونشرتْه الآداب في نهاية العام الماضي بعنوان «المثقَّف العراقيّ والحصار».

موسيقى عراقيّة*

بشرى البستاني

ليت الفتى حجرٌ،
يا ليتني حجرُ
ألمّ حين شظايا الدهر تنهمرُ
ألمّ حين تلوحُ الأرضُ ساقية
شوهاء ينْشج في أطرافها الشجرُ.
هل يعرفُ الشوق إلاّ مَنْ يكابده
ويعرفُ الجوع إلا جائعٌ وَعِرُ؟
أو يعرف الجرحَ إلا نازفٌ عَبَرَتْ
على جراحه نارٌ
وقدها حَجَرُ
يبكي إذا انكسرتْ في بوحها ا
فوتُ الحبيب الذي أوجعته ظَفَرُ
في روعه ندمٌ
في صدره سقرُ
عرارُ ريا وما في ربعها سطروا
ودار ميّة مذبوحٌ بها الأثرُ
تبكي مدارجها،
والليلُ معتكر
غيلانُ، غيلانُ:
هل يُجْدي الفتى حَذَرُ
إذ الصّبا غضّةٌ
إذ عودُها نضرُ
ينبو بها قدرُ
أعنّةُ الليل محمولٌ بها الخطرُ
في طيّها وجعٌ،

في طيّها نُكُرُ.
يا ساريَ البرقِ لا تسألْهُ: «ما
الخبرُ»؟
عاثت بنا النذرُ،
والليلُ ينهمرُ
يا ساريَ البرقِ تلك الخيل تنتظرُ
والنارُ في دمنا المعطوب تنكسرُ
هل يكذب القمرُ؟
نَعم، ويخجل إذ
تبكي على زنده الآثار والصُّوَرُ
يا ليتني حجرُ!

*

على مقعدٍ من يقينْ
تستريح الحماماتُ
مطفئةً نارها البرتقالُ يفجر أشجانه
في النوار الحزين
على معقد من شجون
يستريح الفتى حجراً،
يستريح غباراً بأغنيةٍ ظلّ ينشدها
العابرون
على مقعدٍ من ظنون
تستريح الفتاةُ،
على مقعدٍ من ورود الزمانْ
وينجرح الليلُ في دمها،
ويدور المكانْ

* - موسيقى عربيّة: قصيدة لمحمود درويش من ديوانه **حصار لمدائح البحر**. وأمّا «ما أطيب العيش لو أنّ الفتى حجرٌ/تنبو الحوادث عنه وهو ملموم» فهو بيت للشاعر القديم تميم بن مقبل.

ودجلةُ تلقي بأدغالها في الأمان
غريبين، صوتكَ كان الدثارَ الوحيد
غريبين كنّا:
العراقُ بعيد
يجرحه في دمانا البغاةُ،
المرابون كانوا يُجرونه من دمانا
ونأسره في سواد العيون،
نجرّ عليه غطاءَ سواد العيونْ.
غريبين... كل الجبال تصلّي على
جرحنا
والمرايا شهود..
قالت الأرضُ:
لا تستفقْ يا هواي الأخير
قلتُ كلّ الزمانْ..
صالحٌ للتشرُّد،
كلّ المكان،
صالحٌ للتوحّد،
كل المدى صالحٌ للحُلْم..
وكل المواعيد شاحبةٌ غير
موعد قلبي
ومقفرةٌ غير موعد حبّي.
فلا تبتعدْ، إنّها اللحظة المستحيلةُ
لكنني لن أجيءَ،
لتبقى وحيداً
ويغمر وجْهك حزنٌ جديد..

*

البحرُ يمتشقُ الزبدْ
والريحُ تشعل في السواحل وردَها
والأفقُ يعرف مَوْعِدهْ
والبحرُ لا يعطي لواعجَهُ
ولا يعطي زنابقَه
ولا باع المناديلَ التي نزفت
على شرف الأماسي المترعة
والبحر تقطعه النميمةُ والهزيمةُ
والشّراكُ المغرضة
والبحر تقطعه الليالي،
والبحرُ.. يا لي من رجالي،
أرتديه مرةً،
أو يرتديني
فيه أرقدُ مرةً،
وينام شوكاً في عيوني.
من أين يأتي البحرُ،
كيف يجيءُ
يغمرني ضحًى،
ولظاه يغمرني دجًى،
طوراً أصدّقه، وأطواراً يكذّبني
وأهجره،
وأنكر في حديقته غصوني.
يا أيُّها الوردُ الذي زرع السفين دماً
عصامياً
يسرّح شعرَ موج البحر في الخلجانِ
قال البحرُ للأسماكِ: كوني،
لكنّها رفضتْ فسال الفجرُ من
جرح النوافذِ.
قالت الضفّةُ الأخيرةُ:
جئتُ يا شجر الفصولْ.
يا أيّها البحرُ الذي هجر الحقولْ
حجرٌ أنا احترقتْ أصابعُ عشبهِ في
الجوفِ،
فرّت من أضالِعه الطيورْ
حجرٌ أنا انكفأتْ لواعجُه،
وخانته الهواجرُ والمهاجرُ.
أيّها البحرُ العذولْ،
يا أيُّها البحر افترسْني إذ أتوقُ وإذ
ألوبُ،
وإذ تمورُ النارُ في نبْض الجذورْ
أو في رخام الموجِ،
لا تأخذ إليهْ
قلقي..
امتشقْ لغتي إليه رهينةً
ألقِ المساءَ عليه خَيْمةً
وتوسّدِ الصحراءَ غَيْمهْ.
منفايَ في كفّيه خلف البحرِ،
خلف ضباب أغنيتي
وفي فزع العيونِ المرهفة
وهو العراقُ،
هو العراقُ تبسمتْ كفّاه في وجع
السنابلْ
وهو العراقُ.
ضحكتْ جداولُه على زبدِ الضفاف
المالحة
يا أيُّها المتوسّط المخذول بالحمّى
اتشلْني من عيونِ الرّيحِ
خذْ شفتي وأطلقني على كتفيه
جرحاً عابراً
واسجنْ عيونَ الرّيح فيّ إذا مضيتْ.
يا أيُّها المتوسّط المخمور،
هذي النار تُشعل في عيون البرقِ
آخر زَنبقهْ
في أوج أغنيتي ألوذُ بماء صدركَ،

بالغبار على خطاك المرهقهْ.
يا أيها البحرُ الذي كسَرَ المعابرَ،
هل نعود الى الحدود..
نلقي بصخرة صبرنا عبر المدى؟
يا أيها البحر اللدود
ألق السلام عليّ،
واختصر الردى..!

*

ضاعوا بآخرة النهارْ..
ضاعوا يلمّ الغيم من دمهم شظايا..
والحب للفقراء مأوى
لكنهم زرعوا الطريق اليه بالألغام
فانفجرتْ شظايا الروح،
وارتدت الموانئُ حزنها
وبقيتُ أرقب عبم وجهك.
قالت الأغصانُ: لن يأتي،
وقالت غيمةٌ: سيجيءْ
أول دربنا جرحٌ،
وآخر خطونا برقٌ
وما بين الندى والجرح سكينٌ
وملحمةٌ.
نداؤك شمعةٌ لا تنطفي في القلبِ،
رغم الريح، رغم أصابع الغسلانْ.
يشهد فجرك المصلوبُ بين قبائل
الدجل،
المرابين، النهوانْ.
يا أيها الوردُ العراقيُّ المصانْ..
يا أيها القمر المخضبُ عنفوانْ..
ضاعوا.. وفي عينيّ تنبض من
بقاياهم سنابلْ
ويلوبُ صمتُك، والحروفُ لها
أناملْ
نشوى تلمّ ضفائري
فتفيضُ في الليل الجداولْ.
يا أيُّها الوطن المكابرْ..
أشْرِقْ.. فهذا الليلُ كافرْ..
أشْرِقْ.. فهذا الصدّ كافرْ..

*

حبيبي..
لماذا الجسورُ تلمّ معابرها
في الغروبْ؟
لماذا البلابلُ كانت تلوبْ
على كتفيكَ إذا الشّيحُ غرّدَ
أو هَدَلَ العندليبْ؟
ولماذا ورودك تجرحني في
الوصال،
وفي الهجرِ تجرحني
وتلمّ بقايا المراكبِ
في سفرٍ مستريبْ؟
لماذا إذا نامت الأرضُ في عطرها
أستفيقْ
على نبْضِ قلبك
يرجعني في الضلوعِ
ويشعلني في الدموع؟
لماذا إذا ظلّل النخلُ شرفةَ بيتي
يجيئني وجْهُك قافلةً من عطور
وأرضاً تدور
وعاذلةً مُرّةَ
وغمام بخورْ؟
لماذا إذا غنّت الأرضُ أغنيةَ
العائدين
وكلّمتِ الأرضُ أشجارها من حنينْ
وماجت جبالاً
وغاضت بحاراً
وسالت أنينْ..
قال هذا الفؤادُ
ما لها؟!

*

حبيبي..
لماذا تلمّ المباهجُ فتنتها
إذ تغيبْ
ويشطرني الشوقُ ألف امرأه
تسائلُ:
عطركَ هذا..
أم الليلُ يرخي لقلبي العنانْ
ويفتح نافذتي
فأضيع على سفنٍ من حنانْ؟
أعطرُكَ هذا..
أم الياسمينُ الذي اغتال نجداً
وأسقطها في الرهانْ؟

*

لم يكنْ من خيارْ
عراقيةً كانت السعفةُ الشاردهْ
عراقيةً كانت الريحُ واللاعجهْ.
فسلامٌ على جرحك المستفزّ.
سلامٌ على وجعي
وسلامٌ على وترٍ لا ينامْ.

الموصل

عـــودةُ مـــغـــتـــربـة

عبد الرزاق عبد الواحد

ـ ها أنا عائده
أين منّي المفرّ ؟ !

حين أغلقتُ سمّاعَة التلفون
تذكرتُ وجهك قبل السَّفَرْ
وتذكرتُ كيف بكيتُ لكلّ
محرّكِ طائرةٍ دار،
كلّ قطارٍ صفَرْ
وأنا أتأمّلُ دمعَك ينهلُّ مثل المطرْ !

ها هي الآن عادت
قلتُ كلُّ العراقِ أتى معها
من جميع المَهاجرْ
حاملاً دمعَ غُربته، ومحبَّته
للبيوت التي ذُبحَتْ
واستحتْ أن تُسافرْ !

وسرحتُ بعيداً
لستُ أدري لماذا بدا الصوتُ لي
ليسَ صوتَك..

حين وقفتِ على الباب
فاجأتني
كنتُ ما زلتُ أجمعُ ما بعثرتْهُ
السّنين
وما في دمي من حنين
لألاقيك..
ياه..!
بعد عشر سنين
ترجعين كأنّك لم تكبري سنةً
واحده !
وركضتُ إليكِ كطفلٍ..
مدَدْتِ إليَّ يداً بارده
تجاهلتُها واحتضنتُك..
كالدُّميةِ الجامده.
دار خدُّكِ نحو فمي
سقطتْ قبلتي في مساحيقِ وجهكِ
بينا يداكِ تصدَّانِ ما بيننا
فتراخَتْ يدي،
وتراجعتُ
لَحظتَها،
كنتُ ألمحُ كيف نظرتِ لبدلتكِ
المُترفه
لا تكون العواطفُ قد أفسدَتْ
من أناقتها المرهفه !

وجلستِ..
جلستُ قبالَك
ثرثرتِ..
كانت فتاةٌ عراقيَّةٌ شئتُها أن تراكِ
قلتُ لها
ستَرين العراق الحبيب
العراق الغريب
يعودُ إلى بيتِه..
نصفَ غافٍ
سمعتُ حديثَكِ عن حَرِّ بغداد..
عن كثرة الأتربه

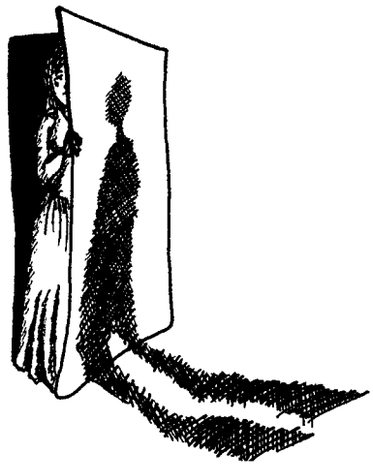

عن الفقر، والجوع..
عن نظراتِ التَّسوُّلِ،
والأوجهِ المتعبَه
وهي تركضُ خلفكِ في ذلَّةٍ مذنبه !

وثرثرتِ.. ثرثرتِ..
عن كلِّ ما نابَنا من بلاءْ
عن الموت، والخوف، والأبرياءْ
ونظَّرتِ للحرب،
نظَّرتِ للغرب
ثمَّ.. بشيءٍ من الكبرياءْ
أعلنتِ أنَّكِ والوفدَ جئتم ببعض
الدَّواءْ !
كنتُ في مقعدي نصفَ غافٍ
وقال صديقٌ أتى
إنَّ عطركِ يملأ كلَّ الممرَّات.
فتاةٌ عراقيَّةٌ ضحكتْ
أدركتْ أنَّ عطركِ
لحظة كنتِ على الباب مات..!

بغداد

قصائد

علي الطائي

«.. لقد فقدتُ الوجدان: ففيمَ أحتاجُ إلى الاحتفاظ به ما دام الذي نصونُهُ ينبغي أنْ يكون مَغشوشاً؟».

جيرونشن (ت.س.اليوت)

- ١ -

قمرٌ مُكتَملٌ يصعدُ ببطءٍ ناقهٍ في النافذهْ
قمرُ نهاية آب هو قالت
وهو ثالثُنا في المشهدِ قلتُ
متريثاً يصعدُ من خلْفِ أشجارِ الأُفُقِ الرماديهْ
وعطرُه الفضيُ ينفُذُ إلى زوايا الغرفةِ المُطلّةِ على شارعٍ مُقْفِر
وينزلقُ من على جَسَدَيْنا الرَطِبيْنِ ويتجمَّعُ ثم ينسابُ على
ثنيات الغطاء المُزاحِ عند أقدامنا المتباعدةِ بمحبَّهْ
ثم على الوسادةِ التي تجمعُ رأسَيْنا الساخنَيْن
ينسابُ خُطوطاً باهتةً باردةً كَيَدِ الرضيع
وأخرى داكنة مُوحشةً تهزُّنا بريبَهْ
فنعُومُ.. أحدُنا يُبْعدُ الآخرَ بتحفُّظٍ حَميمْ
غامضَيْن كدربْنِ غاطسَيْن..
في وحشة ما انتهى من حُبٍّ بيننا قبلَ قليلْ.

قمرُ نهاية آب يُغادرُ النافذةَ ببطء
وعَزلتُه المضيئةُ أخذتْ تشحَبُ مثلَ عُزلتنا
وعطرُ فضته الأبيضُ بَرَدَ كرأسَيْنا
كإفلاسنا من أيِ أملٍ آخر
سوى أن نذهب إلى الوحشة غيرَ مُرْغَمَيْنِ
مرة أخرى.

- ٢ -

البكاء الماضي الطويلْ
ممزقُ قمصانِ الروحِ، ما نفعُهُ إذا ما عادْ؟
فنحن بعدَ تفرُّقِ المُواسينَ ما عُدْنا نُلاقي أحداً
يُعوِّضُنا بعضاً ممّا فقَدْناه.
وَمَنْ رُوحُهُ لم تزلْ بَرّاقةً،
ما أدْراه بما نالَنا؟
فنحنُ ما زلنا نُزيحُ الحُطَامَ المرةَ تلْوَ المرَّه.
يا روحي، يا مَنْ تجلسينَ القُرفصاءَ كلَّ مساءْ
وبينَ يديكِ قلبُكِ الدافئُ المُضام:
هذا الشوطُ المُتقطِّعُ الطويلُ، متى ينتهي؟!
فالركضُ طال خلْفَ كلِّ ما نُمسكُ به ويتلاشى
وكم تُراهُ يطولُ سُرورُنا
بالبقيَّةِ اليافعةِ من أيامنا في التقويمْ؟
وكيفَ يَتَسنَّى لنا ألاَّ نَتوانى في التَّخلي عنها؟
والقَلَقُ هذا.. ومعه الكثيرُ من الظنونْ
أيُبْقينا نتصنَّعُ الحُبُورَ ونَنفُخُ في الرّاحات
ونحن نتناولُ الحِبَالَ نفسَها المرةَ بعدَ المرهْ
وهي التي ما رَمَتْ بنا مرةً واحدةً
إلى الضِّفةِ الثانيهْ؟

- ٣ -

تأتي على بساطِ طائرٍ، ولا تأتي على سواه
أيامٌ ذاتُ أُبَّهةٍ وطبولٍ وتابعينْ
لمحتُ فيهم صاحبَ القُمقم..
وتغادرُ كما يغادرُ جَمْعُ سيّاحٍ
أنهى رحلتَه على عَجَلْ
لا نعلَمُ أينَ تَحطُّ أخيراً أو تتّجه.

أيامٌ ثانيةٌ تأتي
كأنَ أحدهم أطلقَ على جَمْعِها الرصاص
وأمامَنا تسقُطُ على بساطٍ
لم يطرْ بنا أو بها يوماً
فنفزعَ لها بالضِّماد والمواساهْ
وبدهشة المغلوب ينظُرُ في وجه المغلوبْ
نظلُ أسابيعَ يتفرَّسُ واحدُنا بالآخرْ.

أيامٌ ثالثةٌ لم تطرْ على بساطٍ
ولا أمامنا تسقُطُ على بساطٍ أو تُرابْ
ولا يُتاحُ لأحدٍ استقبالُها
بغُصنٍ أو منديلٍ أو شَكْوى
بل نشُمُّ رائحة احتراقها من الوهلة الأولى
التي تطلُ فيها من أوراقِ التقويم.

وأيامٌ رابعةٌ
تمرُ سراعاً وتغيبُ، تتبعُها أسرابُ حِدإٍ وغربانْ
ولا أحد منا يمدُّ يدَهُ إليها
حتما ولو للضَّرب على ظهورِها التَّربَهْ.

ـ ٤ ـ

هل بقي لي بعد تحطُّم صَخْرتي
ألا أعود إلى الجبلْ؟
فعودتي إليكم أعْطتني صخرةَ الشارعْ
على كتفي عابراً بها المدينةَ
من أقصاها الى أقصاها
تلوحون لي يومياً
متبوعاً بصياح الأطفال واستهجان المارّهْ
فخذْ بيدي الى فضاءٍ آخرَ مرةً..
إلى وقت لي وحدي
فما عدتُ أُميِّزُ بين ضلوعٍ تتكسَّرُ، وصخورٍ تتحطَّمْ
وما عادتْ تنفعُ كيفَ وعسى.
ما دامَ وقتي تائهاً في الأوقاتْ
فلا وقتَ للحُبِّ أو الكُره أو الخروجِ أو الدخولْ
ومصيري بينَ ذراعَيَّ: فلا أنا القادرُ على دَفْنِه
ولا هو القادرُ على قَذْفي من جَوْفِه المُوحشْ!
فإيَّاكَ إيّاكَ.. واسْمَعني:
البدائلُ المُعابةُ لا تُقَدِّمْها لي
فتُصبحُ سلامتي مُستحيلهْ
فلا نَفْعَ من سُلَّمٍ جديدٍ ينتهي
كسابقِه فلا يصلُ بي إلى السطحْ.

ـ ٥ ـ

من فراغٍ أبيضَ تماماً
في مدينتي المُكْتظَّة أو وَرَقي الماثلِ على الطاولهْ
أطلُبُ استطالةً، وأُحاولُ ذلكَ مراتٍ.
وعلى الرغمِ من عَوَزِ وَرَقي الفاضحِ، وثَرائِه الغامضْ
إلاَّ أنَّني أتوقَّفُ أمامَهُ لأيام
كَمَنْ ألقَتْهُ مَرْكَبَةٌ في فَلاهْ
مُحاولاً معرفةَ ما سيعْطيني.

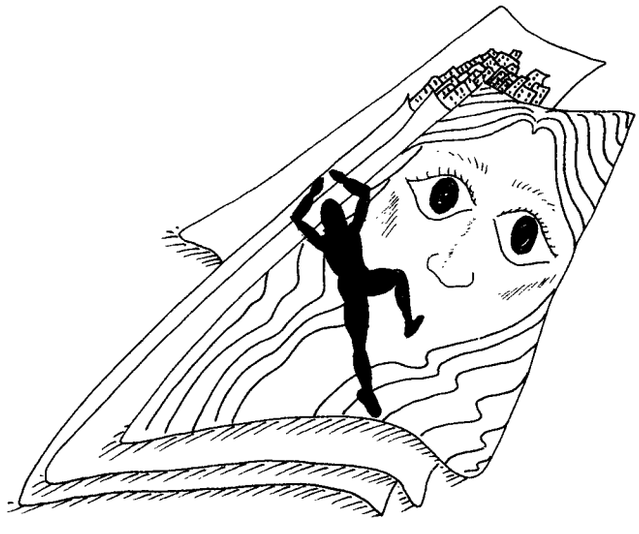

ومثلما أحاولُ معه ذلك أُحاولُ معَها
فأنا أطلُبُ منها : كَأنْ أخْطفَ حُباً أو رِبْحاً ما وأُغادر .
ولكنْ بيدٍ مُلوّحةٍ بأسفٍ يَسْتَقبِلُني وَرَقي
وأمامي على بياضِه تحضُرُ مدينتي المكتظّةُ وفراغُهُ الثَّر
ويبدآن : أحدُهما يمحو الآخرْ
فيعودُ البياضُ مفتوحاً صامتاً مرةً ثانيهْ
ولكنه لا يدفعُني إلى تصريحْ
ولا أنا عازمٌ على الإدلاءِ بما أُريدْ .
فهل أمسحُ يديَ بجَنْبيَ وأُوَلّي ؟
وهل أجدُ بعد إزاحةِ الهَباءِ بالهباءِ تعويضاً
يعطيني وأُعطيه
كالحُبّ مثلا وأنا فيه المحبوب
كالربْح مثلاً وأنا الخاسرُ دوماً ؟

ـ ٦ ـ

وبقيتُ كمنْ يُعدّلُ من وَضْعِ المرآةِ الماثلةِ أمامَهْ
أعدلُ من وضعِ نفسي وأضَعُها قبالتي
وكمنتظرٍ إيعازاً ما أُتابعُ عَبْرَها
تهديدا لا يُحسنُهُ إلاّيَ
يقصُ أجنحتَها بلا حيطَهْ
وهذا كثيراً ما يحدُثُ كلّما احتفيتُ بفرحٍ عارِضْ
فتُقبلُ ريحٌ تذرعُ غُرفتي
وتبدأ تكنسُ حُطامَ زُجاجٍ مُتراكم
لدوارق صبري المُحطّمهْ
وعادة لا يُشاركني أحدٌ هذا المشهد
وقدر استطاعتي لا أفكّرُ أمُدّ يداً
فأنا تأكّدتُ أنّ كلَ الأيدي
تصبحُ في هذه اللحظاتِ قصيرةً جداً .

بغداد

تحـــــــولات الرمـل

مجيد الموسوي

١ ـ الجواد الذهبي

ـ أ ـ

على صهوة جوادي، أعْبر مفازة الأبد
هائماً : كروح، كقديس، كمجنون،
إلى مدن الغربة والشهوة والغوايات .
أعْبر مفازة الخوف، والخرافة
إلى الأبلق الفرد : حيث الطمأنينةُ
التي تشبه المكيدة،
والنومُ المثخن بالكوابيس
وحيث راياتي مرصعةٌ بالانكسارات
ورماحي مركونةٌ كالجثث
فما دمّون غير حلم
وما عنيزة غير طيف
وما دارة جلجل غير مدينةٍ معلقةٍ في الهواء !
فيا صاحبي الذي يغالبه حزنُ الديار
لا تغنِّ إلا أغاني الشجن
ولا تذرفْ إلا دمعَ الفجيعة
ولا تنادِ إلا الأرواحَ الهائمةَ في الوهاد
فغداً تلوح قبابُ القسطنطينية : ساطعةً بالكبرياء
والشماتة .

ـ ب ـ

على صهوة الجواد أدْخُلُ غسقَ الصحراء
متعلقاً بأذيالِ نجومٍ نحيلة
تقطر شعيعاتٍ كالدمع

منجردا من سيفي، ومن ردائي المزنَّر
بشارات كندة الملكية
فتكسوني الغيماتُ الغسقيةُ
أوشحةَ، كاليحموم
ويعبث بي أفقُ الرمل الأرمد،
الشحيح، المترهل.
وتسخر مني السماءُ المترفعةُ،
الشاسعةُ، القاصية.
فيا صاحبي الذي تغالبه وحشةُ
الديار
لا تغنَ إلا أغاني الندم
ولا تذرفْ إلا دمعَ الخيبة
ولا تنادِ إلا الفراغ
فغدا تفتح لنا بوابة القسطنطينية
كفم السعلاة
لنتحول في جوفها إلى حجر!

ـ ج ـ

على صهوة جوادي الجميل:
أعبر أيامي المترعةَ بغواية الشعر
ولذائذ مواعيد العشاق
ودفء المعانقات التي تؤجّجها
الصبواتُ والترف
إلى ليالي السهد والضلالات
والأكاذيب
والنهارات التي تغصّ بالمكائد
والتواطؤات
والأوقات التي تجرحني ببراثن المرارة
والقنوط.
فما دمّون غير سراب
وما عنيزة غير وهم
وما دارة جلجل غير مسيل من
حجارة صماء!
فيا صاحبي الذي يغالبه فراق
الديار:
لا تغنَّ إلا أغاني الوداع
ولا تذرفْ إلا دمعَ الغياب
ولا تنادِ إلا الرموس.
فغداً نسير على أرض القسطنطينية
كما لو كنا نسير على جمرات!

٢ ـ القسطنطينية

أيتها القسطنطينية العجوز: ما أنتِ
إلا مكيدة.
فيكِ أيامي تحولتْ إلى شمع:
باردةً وبلا بريق،
والآمالُ الكبرى التي حملتها
كالبيارق
مَزَّقَتْها رياحُ التواطؤات والأحابيل.

[أستيقظُ عند الفجر، حزيناً،
أرقبُ وجهَ البحر الأبيض
مبتلاً وهو يلامس أقدامَ القلعة،
تأخذني سنة
فأرى وجهَ عنيزة مبتلاً بالرمل
وبالنسيان...]

وفي فراشي ما زالت رائحةُ عري
ابنة القيصر تتخثر
على أديم الطنافس، ألمسها كالظلّ
فتموء متلذذةً:
من أيّ بلادٍ مشمسةٍ قدمتَ يا
مليكي!
ـ على تخوم انطاكية نفقَ جوادي
وعلى سواحل مرمرة مات صاحبي
وها أنا أترنح منذ سنوات ثلاث
بين مواعيد القيصر الكاذبة وعري
ابنته الباذخ!
[أُسلم ذاكرتي للبحر
وألهو بالعري الباذخ بين يدي
ـ لماذا يبدو مولاي حزيناً؟
تدنو مني وتقبّل صدري،
تُسكرني رائحةُ العري البيزنطي
قليلاً]
فيعاودني الإحساس الوبيل
بالشجن، ويهبط
على روحي ذلك الغمّ المبرح،
القديم.

[في كل مساء تأتي ماريا، عاريةَ
القدمين
تنادمني أحزاني وغواياتي، وتحاول
أن تمسح
عن روحي الحزنَ، وتمنحني فرحَ
الأيام،

وتنسيني دارة جلجل، امنحني يا
مولاي
النعمة من كفيك، وطوّقْني بحنو
إله الصحراء،
واشعل في أنوثة نفسي، مولاي أنا
جارية
بين يديك فخذني تحت خبائك..
تأخذني
سنة وأنا أملكها بين يدي، أرى وجه
عنيزة
مبتلا بالدمع وبالنسيان!
لماذا يبدو مولاي حزيناً؟]

على تخوم انطاكية نفق الجوادُ
الذهبي
ومات صاحبي الذي أحب في المنفى
وصرتَ في السنوات الثلاث
الأخيرة أترنح بين أكاذيب القيصر
وعري ابنته السابغ

فيا أيتها القسطنطينية الماكرة: ما
أنت إلا كذبة!
[أستيقظ عند الفجر، وحيداً، ما
عادت ماريا
تأتيني عارية القدمين، أراقب وجه
البحر الصاخب
محتدما. ينهش أقدام القلعة، ما
عادت ماريا
تأتيني، هل أغرقها البحرُ، أم
انتحرتْ برداء
الموت البيزنطي (بأمر القيصر!)،
ما أوحش روحي!
ما أوحش هذي القلعة! ما أوحش
هذي القسطنطينية!
تأخذني سنة فأرى وجه عنيزة مبتلاً
بالشوق
وبالدفء
أعانقه
وأواصل
نومي...]

٣ ـ شاهدة على قبر

[وفي تلة قرب حمص
توقّف ركبُ الجنود
ونادى منادٍ: أنيخوا!
وطوّقنا الليل...

هذا، إذن، آخر المنتأى
قلت ـ آخر هذا الرحيل!
وقد آن لي أن أقول لهذا الفؤاد
العليل
ترجّلْ، وهذي الجراح اهدئي
وأقول:
هنا ـ أيها الركب ـ مثواي!
أول أرضي
وآخر
هذا
الطواف
الطويل...!]

البصرة